هذا البيت يقوم على تجربة بشرية لقوم جلسوا حول ماء، كما أنه صياغة فنية من حيث ارتكازه على الإيقاع العروضي للبحر السريع، وعلى الصياغة البلاغية المعتمدة على التشبيه بأركانه الثلاثة. ثم هو نص يقوم على التحويل الدلالي من ضمير المتكلمين في (كأننا) إلى كلمة (قوم) التي بها تحول النص من إشارة المعرفة إلى إشارة النكرة. إنه أدب ـ إذن ـ عند الفرنسيين وعند المجددين العرب، مثلما أنه شعر ـ بما أنه (قول موزون مقفى يدل على معنى) حسب اصطلاح قدامة بن جعفر[4].

وهذا يلزمنا بأن نجعل هذا البيت شعراً وأدباً ولن يستطيع الجاحظ ولا طه حسين تخليصنا من هذا البيت، فالجاحظ يرى أن (الشعر صياغة وضرب من النسيج وجنس من التصوير)[5]، وطه حسين قدم تعريفه للشعر وأغرانا بالطمأنينة إليه حيث يقول: (نستطيع أن نعرف الشعر آمنين بأنه الكلام المقيد بالوزن والقافية والذي يقصد به إلى الجمال الفني)[6]. ولا ريب أن قائل البيت قد قاله وفي ذهنه غاية الجمال الفني المتمثلة بالصياغة والنسج بما أنهما جمال انشائي وإيقاعي وجاء التصوير من جهة التشبيه. وهذه تعريفات لا تزداد أبداً بقول ستانلي هايمن عن الفن بأنه (نسج للتجربة الإنسانية في نماذج ممتعة ذات معنى)[7]. وهو تعريف رأينا

(4) قدامة بن جعفر: **نقد الشعر** 64، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.

(5) الجاحظ: **الحيوان** 132/3، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1969 م.

(6) طه حسين: **الأدب الجاهلي** 312، دار المعارف بمصر، 1968 م.

(7) ستانلي هايمن: **النقد الأدبي ومدارسه الحديثة** 17. ترجمة إحسان عباس ومحمد يوسف نجم. دار الثقافة، بيروت. د.ت.